دار القاسم

السائحون

بدر بن نادر المشاري

الرياض: ١١٤٤٢ ص.ب: ٦٣٧٣ ت: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠
فروعنا - جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ فرع بريدة ت: ٣٢٦٢٨٨٨
www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

السائحون و السائحات:

السائحون هم أنتم أيها الصائمون، والسائحات هن أنتن أيتها الصائمات، وسياحة هذه الأمة الصيام، فيا سائحون بشرى لكم وفضيلة قول الله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة].

قال ابن جرير: أما قوله ﴿السَّائِحُونَ﴾ فإنهم الصائمون وهو قول أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس وسعيد بن جبير وعبد الرحمن ومجاهد والحسن والضحاك وقالت عائشة سياحة هذه الأمة الصيام.

وبشرى لكنَّ أيضاً أيتها السائحات ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سائحات صائمات وهو قول قتادة والضحاك، فأنعم بالصيام سياحةً لهذه الأمة ترفع بها الدرجات وتكفَّر بها الخطيئات وتكسر بها الشهوات وتستجلب بها الخيرات وتوفر الطاعات ويشكر عالم الخفيات ويبعد بها العبد عن النار واللَّفحات، ويقرع بها أبواب الجنات.

حقيقة السياحة:

واعلموا أنه ليس الصوم صوماً عن الجماع والطعام، وإنما الصوم صوم الجوارح عن الآثام، وصمت اللسان عن فضول الكلام وغض العين عن النظر إلى الحرام، وكف الكف عن أخذ الحطام، ومنع الأقدام عن قبيح الإقدام، فكن كما شئت فإنما تجني ما تغرس ولا يدرك ألطاف العطايا الربانية إلا من ربَّى للصوم نية.

ثمرة السياحة:

واعلموا أن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته، وليتق الله فيها.

واعلموا أنَّ طويل الجوع يوماً سيشبع، لذا فإن الصوم يورث السقيا يوم العطش، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «بعث أبا موسى على سرية في البحر، وبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبراً. قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش» وفي رواية «أن من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة» [حسن قال المنذري رواه البزّار بإسناد حسن وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، ١/ ٤١٢].

فكان أبو موسى يتوخَّى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه.

يقول **ابن رجب** ـ رحمه الله ـ عن بعض السلف قال: (بلغنا أنه يوضع للصُّوَّام مائدةٌ يأكلون عليها والناس في الحساب، فيقولون يا ربِّ نُحاسب وهم يأكلون، فيقال إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم.) ويصدق فيهم ما قاله ابن الجوزي في مقاماته: جاعوا بالنهار وما يفهمون كيف صاموا وشبعوا بالليل فناموا وما قاموا).

نصُومُ فإنَّ الصَّومَ من علمِ التُّقى
وإنَّ طويل الجوع يوماً سيشبع

الغنيمة الباردة:

الصوم في الشتاء غنيمة باردة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» [حسن رواه أحمد في مسنده وغيره وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم، ٣٨٦٨].

ويقول **ابن الخطاب الفاروق عمر** ـ رضي الله عنه ـ : (الشتاء غنيمة العابدين).

ويقول **الحسن** ـ رحمه الله ـ : (نعمَ زمانُ المؤمن الشتاء: ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه).

وقال **قتادة** ـ رحمه الله ـ : (إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه).

وكان عبيد بن عمير ـ رحمه الله ـ الليثي إذا جاء الشتاء يقول: (يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار

لصومكم).

ربيع المؤمن:

إن الشتاء ربيع المؤمن، يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ : (لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه، كما ترتع البهائم في مرعى الربيع فتسمن وتصلح أجسادها، فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات، فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش فإن نهاره قصير بارد، فلا يحس فيه بمشقة الصيام) [لطائف المعارف].

فهنيئاً لك أيها السائح صيفك وشتاءَك إذا كانا كذلك.

والثمن الجنة:

سياحتكم هذه أي صومكم في سبيل ربكم سبيلٌ إلى الجنات قال رسولكم عليه الصلاة والسلام: «من خُتم له بصيام يوم، دخل الجنة» [صححه الألباني في صحيح الجامع رقم، ٦٢٢٤].

قال المناوي: من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم، أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب). [فيض القدير، ٦/ ١٢٣، ورواه أحمد بإسناد لا بأس به]، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا حذيفةُ من خُتم له بصيام يومٍ يريد به وجه الله ـ عز وجل ـ أدخله الله الجنة» [الحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٤١٢].

فهي خصلة لدخول الجنة عظيمةٌ في الحديث الذي رواه مسلم وابن خزيمة من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» فقال أبوبكر: أنا، فقال: «من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبوبكر: أنا، فقال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟» فقال أبوبكر: أنا، قال «من عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبوبكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة».

وجاء في الحديث عند ابن خزيمة عن أبي معانق أو أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها،

وصلى بالليل والناس نيام».[إسناده حسن لغيره رواه ابن خزيمة في صحيحه وقال الألباني في التعليق على صحيح ابن خزيمة إسناده حسن لغيره].

أخيراً أيها السائحون أتريدون غير الجنة منزلاً وغير الرسول ﷺ صاحباً وغير الحور أزواجاً وغير نداء الله نداءً: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [الحاقة]. قال مجاهد وغيره نزلت في الصائمين.

إذاً من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله يرجو عنده عوض ذلك في الجنة عوَّضه الله، ومن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً مما تركه، فكيف بكم وقد تقلصت شفاهكم عطشاً، قال يعقوب بن يوسف الحنفي: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وجفت بطونكم، كونوا اليوم في نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم.

وقال الحسن: تقول الحوراء لوليِّ الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف، بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش، فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي، رغبةً فيما عندي، إشهدوا أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوَّجنيك.

فلا تعجبوا أيُّها السائحون:

كان بعض الصالحين يصوم حتى انحنى وانقطع صوته فمات، فرآه بعض أصحابه الصالحين في المنام فسأله عن حاله فضحك وأنشد:

قد كُسيَ حُلة البهاءِ وطافت
بالأباريق حوله الخُدام
ثم حُلِّي وقيل يا قارئاً اِرقه
فلعمرك لقد براك الصيام

إذاً أيها السائحون:

من ترك لله الدنيا طعاماً وشراباً وشهوة مدة يسيرة عوَّضه الله عنده طعاماً وشراباً لا ينفد، وأزواجاً لا يمتن أبداً). [لطائف المعارف، ١٧٧-١٧٨].

فكثرة الصيام وطول القيام مهر للحور العين.

كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام فصلى ليلة في المسجد ودعا، فغلبته عيناه فرأى في منامه جماعة علم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة بياض الثلج، فوق كل رغيف درٌ كأمثال الرُّمان، فقالوا كلْ فقال إني أريد الصوم، قالوا له: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل قال: فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأحتمله فقالوا له: دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا قال: أين؟ قالوا: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغير، وملك لا ينقطع، وثياب لا تبلى وقرة أعين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يغرن فعليك بالانكماش فيما أنت ... فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار فما مكث بعد هذه الرؤيا إلا جمعتين حتى توفي فرآه ليلة وفاته في المنام بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه. وهو يقول: لا تعجب من شجر غُرِس لي في يوم حدثتك وقد حمل، فقال له: ما حمل؟ قال: لا تسأل لا يقدر أحد على صفته، لم يُرَ مثلُ الكريم إذا حلَّ به مطيع.

[لطائف المعارف، ص، ١٧٨].

يا سائحون ألا خاطباً في هذه السياحة إلى الرحمن؟ ألا راغباً فيما أعده الله للسائحين في الجنات؟ ألا طالباً ما أخبر به من النعيم المقيم فطوبى لمن أظمأ نفسه اليوم للري الكامل وطوبى لمن جوع نفسه اليَوم للشبع الأكبر! وطوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة لموعد غيب لم يره وطوبى للسائحين والسائحات ما أعد لهم في الجنات!

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤كتيبات + ٤كتيبات جيب + ٤مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة

تجدون المزيد على موقع المطويّات الإسلاميّة : www.matwiat.com